٦ - إن النشر عن الجرائم يعرض من لديهم استعداد للتأثر لمخاوف وهمية هائلة وأزمات نفسية قد يترتب عليها اضطرابات نفسية، وأحيانًا عقلية.

٧ - نشر أسماء المتهمين قبل أن يتحدد موقفهم يسىء إليهم وإلى سمعتهم وإلى ذويهم.

٨ - إن النشر بلا ضوابط قد يدفع محرر الجريمة فى سعيه لتحقيق سبق صحفى- إلى عدم الالتزام بالأصول والاعتبارات القانونية فى مراعاة حق المتهمين، وافتراض براءتهم حتى يثبت العكس.

٩- إن إفراد الصحف لمساحات كبيرة لنشر أخبار الجرائم، وتخصيص مواقع متميزة لها فى صدر صفحاتها، يعد استخفافًا بعقول القراء.

١٠- إن الصحف كثيرًا ما تنشر أخبار الجريمة مكتفية بمجرد عرض وقائعها، دون أن يتعدى ذلك إلى إخضاع هذه الوقائع للتحليل الدقيق للتعرف على أبعادها المختلفة حتى يمكن الاستفادة منها.

رأى الإسلام فى نشر الجريمة:

التوجه الإسلامى إزاء عملية النشر يتمثل فى أن الشريعة الإسلامية لا تسمح بالنشر إلا إذا ثبتت الجريمة، فلا تجيز نشر الجريمة إلا مقترنة بالعقوبة المقررة لها.

فقد بدأ الله عز وجل- سورة النور بذكر قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النور/١)، ثم أعقب ذلك مباشرة بإباحة حق نشر تنفيذ العقوبة، وليس الحديث عن الجريمة والنشر عنها - فقد أوجب عقاب الزانية والزانى بالجلد، وأوجب أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ثم تقرير عقوبة شديدة على الذين يرمون المحصنات وهن عفيفات، فجعلها ثمانين جلدة مع إسقاط اعتبارهم فلا تقبل شهادتهم مع الوصم بالفسق، والواقع أن مجرد القذف دون أن يكون بيد القاذف الدليل، وفى هذه الحالة يوجب العقاب

حتى لا يسهل القذف فى حق المؤمنات، وحتى لا تشيع الفاحشة، ولكن الدليل صعب، فهو أربعة شهداء، بل يجب فى هذه الحالة إقامة الحد، فالجماعة المسلمة قد لا تخسر بالسكوت عند تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام والتراخيص فيه وعدم التحرج من الإذاعة به.

وفى القرآن الكريم إشارات واضحة الدلالة فى عملية نشر الأنباء من قبل أن توجد الصحافة وتتمثل فى ضرورة مراعاة الدقة «التبين» حتى لا يضار أحد نتيجة لأى تحريف متعمد أو غير متعمد، وضرورة رد الأمور إلى ذوى الاختصاص للاستيثاق من صحة الأنباء وجعل الكذب وترديده والإفاضة فيه من أكبر الكبائر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء/٣٦).

والشريعة الإسلامية تحجب النشر إذا كان من شأنه إشاعة الفاحشة فى المجتمع الإسلامى وذلك تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ (النساء/١٤٨). فهذه الآية لا تعطى الحق فى النشر فى هذه الحالة إلا فى حق من زاد ضرره وعظم خطره، حتى لو كانت هذه القبائح قد حدثت بالفعل، وهناك العديد من آيات الذكر الحكيم التى تناولت موضوع نشر الجريمة تؤكد على أن الدين الإسلامى لا يمنع نشر الجريمة منعًا مطلقًا، فقد روى لنا القرآن الكريم خبر أول جريمة قتل فى الوجود جاءت فى قوله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (المائدة/٢٧-٣١).

وهـذا مصداقًا لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة النور/١٩).

كما أنه إذا رأت الصحافة ضرورة نشر أخبار الجنس فلا بد أن يكون بأسلوب جاد يشرح الجريمة وأسباب وقوعها ومسبباتها، بجانب إبراز دوافع الشر وراء هذه الجريمة بأسلوب بعيد عن التفاصيل الدقيقة لها، وتجنب اللجوء إلى الاستعانة بالألفاظ التى تجرح الذوق العام وتتنافى مع الأخلاق والقيم والآداب العامة. والالتزام بهذا السلوك أيضًا عند التحدث عن المشاعر التى تربط بين الجنسين فى حدودها النظيفة كما أقرها الإسلام فى قصة سيدنا موسى عليه السلام مع ابنة سيدنا شعيب عليه السلام كما جاءت فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (سورة القصص/ ٢٣-٢٧).

كما عالج الإسلام جرائم الفاحشة بدون إثارة أو إفساد أو اللجوء إلى إثارة التلذذ بالجنس والمتعة بالمشاعر المنحرفة، بل جمال العرض ودقته وصراحته وفى الوقت نفسه يقدم نفورًا من هذا السلوك المنحرف والهبوط الجنسى كما فى قوله عز وجل فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن

نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة يوسف/ ٢٣-٢٧).

وهكذا فقد عالج القرآن الكريم فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام هذه الواقعة التى كانت عبارة عن محاولة امرأة العزيز ارتكاب الزنا والفاحشة مع الشاب الجميل الأجير لديها ولدى زوجها، الذى كان يتمتع بجمال طبيعى ليس له مثيل، وذلك بأسلوب بليغ ومهذب وراقٍ ويبعد عن الإثارة والإفساد، وتجعل من يقرأها يتصورها كاملة أمام عينيه دون أن تحدث له أى إثارة جنسية أو إيقاظ لغرائزه، ولكن يفهمها ويدركها جيدًا ويتدبرها على أكمل وجه ويتعلم منها.

بالإضافة إلى ذلك فقد جاءت مجموعة من الضوابط فى كتاب الله الكريم لكى تضبط عملية نشر الجريمة فى الإعلام وهى:-

١ - يحظر على الصحافة ذكر أسماء وعناوين المتهمين فى الجرائم المنشورة بها إلا بالنسبة لمن زاد خطره على أمن الدولة والمجتمع، فالشريعة لا تجيز الإفصاح عن هوية المتهمين - كما ذكرنا سابقًا - وقد تأكد ذلك فى قوله تعالى فى قصة سيدنا يوسف مع إخوته: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (سورة يوسف/ ٧-١٠).

فالصحيفة تحولت إلى وسيلة اتهام وتشهير للمتهم دون مراعاة وضعه كمتهم تحت قيد التحقيق.

٢- يحظر على الصحافة تحقير المتهمين عن طريق إطلاق أوصاف ذميمة وألفاظ غير ملائمة وتعبيرات ركيكة مثل (السَّفاح، القاتل)، وفى الوقت نفسه ينبغى على الصحافة عدم تمجيد المتهمين أيضًا باستخدام كلمات أو عبارات معينة مثل (زعيم العصابة أو الإمبراطور أو أستاذ الإجرام) حيث تؤثر مثل هذه العبارات على الشباب والأطفال بما يجعل هؤلاء فى نظرهم قدوة سيئة تدفعهم إلى محاكاتهم.

٣- كما يجب على الصحافة الانحياز إلى جانب المجتمع فى الحق وأن تكون ضد الاجرام بحيث تثير كراهية الناس ضد المجرمين لأن الأعمال الاجرامية والمنحرفة والغير سوية تمثل فى حد ذاتها عدوانًا ضد المجتمع برمته.

٤- ضرورة أن تلتزم الصحافة العدالة الكاملة فى نشر أخبار الجريمة وعدم الانحياز لأحد طرفى القضية، وأن تنشر دفاع المتهم عن نفسه إلى جانب نشرها للاتهام حتى لا يؤثر ذلك على سير التحقيقات والعدالة.

بالإضافة إلى عدم نشر أخبار الجريمة فى صفحاتها الأولى أو تخصيص مساحات واسعة لها حتى لا يؤدى ذلك إلى انتشار الجريمة فى المجتمع.

وتتمثل أيضًا أبرز الأخلاقيات فى الإسلام فى التثبت من الأنباء وتجنب إيذاء الناس وحماية أسرار الأسرة والأعراض، وعدم تصديق الشائعات، والعدل فى النظرة إلى مختلف الأمور، والقول الحسن المهذب.

ماهية الأسرة

تعتبر الأسرة من أهم الجماعات الإنسانية وأعظمها تأثيرًا فى حياة الأفراد والجماعات، فهى الوحدة البنائية الأساسية التى تنشأ عن طريقها مختلف التجمعات الاجتماعية.. وهى التى تقوم بالدور الأساسى والرئيسى فى بناء صرح المجتمع وتدعيم وحدته وتنظيم سلوك أفراده بما يتلاءم مع الأدوار الاجتماعية المحددة وفقًا للنمط الحضارى العام.

وفى عصور تاريخية قديمة ما قبل الميلاد توالت تنظيمات وتجمعات إنسانية إلا أن أهم هذه التجمعات والتنظيمات هى الأسرة، ذلك النظام الذى تعارفنا عليه جميعًا وقبلناه وارتضيناه لأنه ليس له بديل أفضل حتى لو رأيناه يفشل وينهار وينتهى. فوجود الإنسان يعنى- ضمن ما يعنى- أنه يعيش فى تجمع منظم من بنى جنسه، حيث إنه من المتعذر - إن لم يكن من المستحيل - أن يعيش الإنسان وحيدًا.

وعندما ننظر إلى قاموس علم الاجتماع نجد أن الأسرة الإنسانية تعرف بأنها - جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة تقوم بينهما رابطة زواجية مقررة وأبنائهما... ومن أهم الوظائف التى تقوم بها هذه الجماعة إشباع الحاجات العاطفية وممارسة العلاقات الجنسية وتهيئة المناخ الاجتماعى والثقافى الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء.

وفى معجم علم الاجتماع الأسرة هى: جماعة من الأفراد يربطهم الزواج والدم أو التبنى يؤلفون بيتا واحدًا ويتفاعلون سويًا ولكلّ دوره المحدد كزوج أو زوجة، أب وأم، أخ وأخت، مكونين ثقافة مشتركة وهو

ما لا يختلف عما قدمه معجم العلوم الاجتماعية حيث يرى أن الأسرة هى: الزوج والزوجة وأولادهما ماداموا فى كنف الأسرة.

ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الأسرة على أنها: الوحدة الاجتماعية الأولى التى تهدف إلى المحافظة على النوع الإنسانى، وتقوم على المقتضيات التى يرتضيها العقل الجمعى والقواعد التى تقررها الجماعات المختلفة.

الموسوعة البريطانية تعرف الأسرة بأنها: جماعة من الأفراد المتحدين سواء من خلال رابطة الزواج أو الدم أو التعود لها رئيس واحد، وهذا لا يمنع وجود تفاعل بين أطرافها، وهذا التفاعل يتم داخل مفهوم المكانة الاجتماعية لأفراد الأسرة سواء أكان زوجًا أو زوجة، أمًا وأبًا، أخًا وأختًا، ابنًا وابنة.

وفى قاموس وبستر فى طبعته عام ١٩٩٣ فقد حدد الأسرة فى ثمانى نقاط هى:-

١- مجموعة الأفراد الذين يعيشون تحت سقف بيت واحد.

٢- مجموعة من الأفراد يرجعون إلى سلالة مشتركة.

٣- مجموعة من الأفراد يتحدون فى الإيمان لمجموعة مبادئ.

٤- مجموعة من الأشياء المتحدة فى مجموعة خصائص:

(أ) ذات عناصر تكوينية (كيميائية) شديدة التقارب.

(ب) ذات تقارب من حيث الخصائص الشكلية.

(جـ) مجموعة لغات تنحدر من أصل لغوى واحد.

٥ - الوحدة الأساسية فى المجتمع والتى تتكون فى العادة من الوالدين وأولادهما، وقد تكون الأسرة ذات عائل واحد.

٦- تطلق الأسرة على مجموعة من النباتات أو الحيوانات ذات الأصل الواحد.

٧- مجموعة المنتجات التى تختلف معادلاتها فقط فى المقاييس.

٨- وحدة للجريمة المنظمة تعمل داخل نطاق جغرافى مثل المافيا Mafia .

والإجرام الأسرى هو تلك الأنماط الحديثة التى تتنوع إليها الظاهرة الإجرامية داخل النطاق الأسرى الواحد، بسبب ما يستجد فى الحياة الاجتماعية من ظروف وما يطرأ عليها من متغيرات تترك آثارها فى الجريمة، فتغير من شكلها ومن وسائل إتمامها.

والجريمة فى الإسلام تعرف على أنها «فعل ما نهى الله عنه وعصيان ما أمر الله به»، أو بعبارة أعم «عصيان ما أمر الله به بحكم الشرع الشريف».

وسوف نعرض فى الأجزاء التالية عددًا من الحوادث والجرائم الأسرية التى نشرتها الصحف والمجلات المصرية، والتفسير العلمى لمسبباتها، وطرق الحد منها ومن خطورتها على المجتمع ونواحى التنمية فيه.

آباء وأمهات
تجردوا من الآدمية !

العين تدمع والقلب يتوجع والسماء تهتز وترتعد والأرض تتقلب يمينًا ويسارًا من كثرة ما يُرتكب على ظهرها من آثام وجرائم يندى لها الجبين.. وترتعش معها القلوب والأجساد، وتتوقف معها الألسنة، وتظل الكلمات فى الحلق تأبى الخروج منه معلنة حالة التذمر والعصيان.. وهى جرائم لا تتفق مع العقل والمنطق.. بدأت تظهر على استحياء منذ العقدين الأخيرين من القرن الماضى وانتشرت بصورة ملحوظة خلال السنوات الأخيرة وهى جرائم قتل الأمهات للأبناء أو قتل الآباء وتعذيبهم للأبناء حتى الموت.. أو قيام الوالدين بطرد الابن أو التخلص منه بأى صورة من الصور حتى يخلو لكل منهما الجو فى حياة كل منهما الخاصة، خاصة إذا كانا منفصلين عن بعضهما البعض..

وهذه هى بعض الجرائم الأسرية التى نشرتها الصحف والمجلات وكان لها تأثير كبير على القراء.

أب يعذب طفله حتى الموت !!

بدأت أحداث هذه المأساة عندما كانت هناك أسرة مكونة من خمسة أفراد الأب والأم وثلاثة أبناء، يعيشون فى هدوء وسكينة ويرضون بالمقسوم لهم فى هذه الحياة على الرغم من قلة الدخل المادى للأب الذى يعمل موظفًا فى إحدى شركات القطاع العام التى تتعرض للتآكل والخصخصة الآن، بينما الزوجة لا تعمل، والأبناء الثلاثة فى مراحل التعليم المختلفة، ومطالبهم المادية لا تتوقف على الإطلاق وزاد من الأمر سوءًا هو مرض ابنه الصغير (٥ سنوات) بداء الصرع.. مما يجعله - أى الطفل - فى بعض الأحيان يُصاب بحالة تبول وتبرز مستمرة وبصورة لا إرادية فكانت الخلافات بين الزوجين تثار وتزداد سوءًا لأتفه الأسباب بصورة مستمرة وطوال اليوم مما جعل الزوجة تطلب الطلاق والانفصال، بعد أن فاض بها الكيل، وتركت المنزل، فقام الزوج بتلبية طلبها وتطليقها وعاش مع أبنائه فى المنزل بعد أن هجرته الأم لكى تتزوج من آخر!

ثم قام الأب بالزواج من فتاة صغيرة السن، وقام بإحضارها إلى المنزل لكى تراعى أبناءه فى غيبته وحتى يعود من عمله، ولكنها لم تراع هذه الأمانة وظلت تعامل الأبناء بقسوة بالغة خاصة الطفل الصغير المريض بالصرع، والذى كانت تصدر منه سلوكيات تثير حفيظة الوالد وأشقائه والزوجة الجديدة بالطبع، فيقومون بضربه بالأحذية بسبب شقاوته الزائدة وتعذيبه بالأسلاك الكهربائية دون رحمة بمرضه.. وفى إحدى المرات عندما قررا «الأب والزوجة الجديدة» الخروج للتنزه وقضاء ليلة فى أحد الأماكن الترفيهية، وبعد عودتهم من الرحلة إلى البيت شاهد الأب ابنه المريض فى وضع تبول لا إرادى على سلم المنزل، فجن جنونه، وبدلا من أن يقوم باحتضانه ورعايته، قام بضربه ضربًا مبرحًا

باستخدام عصا غليظة كان قد أحضرها من قبل لتأديب ولده الصغير! وظل يضربه ويركله، والابن يصرخ ويستغيث بأشقائه الذين فروا هاربين إلى أماكن نومهم خوفًا من أن ينالهم ما نال شقيقهم من الضرب والتعذيب من قبل. والزوجة الصغيرة ظلت تضحك دون أن تحرك ساكنًا أو تطلب منه التوقف. وقبل أن ينتهى الأب من وصلات الضرب والتعذيب توقف الابن فجأة عن الكلام والصراخ والبكاء، وفقد القدرة على الكلام وأصيب بشلل جزئى فى أطراف قدميه وذراعيه.. وعندما شاهد الأب ذلك قام بنقله إلى المستشفى المجاورة للمنزل لمحاولة إسعافه، خاصة بعدما كان الابن يُخرج نزيفًا من فمه وأنفه، وقبل أن يصل الأب إلى المستشفى لفظ الطفل أنفاسه الأخيرة وتوفى، وصعدت روحه الطاهرة إلى السماء معلنة الانتهاء من عذاب الأب الذى مات قلبه منذ زمن بعيد، وقسوة زوجة الأب، وتخلص الأم من مسئوليتها لكى تتزوج من آخر، وأشقاء لا حول لهم ولا قوة.

أب يهشم رأس الرضيع حتى يستطيع النوم !!

ما هذه القسوة وتلك البشاعة التى لا يمكن أن يتخيلها بشر أو يتصورها إنسان عاقل فى هذه الدنيا التى تكاد تخلو من العقلاء؟! فى هذه المأساه التى تُضاف إلى ملف التعذيب المستمر من قِبَل الآباء والأمهات ضد الأبناء.. فى منطقة الخانكة فجأة وبدون سابق مقدمات انطلقت من إحدى المنازل صرخات عالية وأصوات وعويل من سيدة ربة منزل تبلغ من العمر ٣٠ عامًا، وقد خرجت من منزلها مهرولة فى ذهول شديد تستغيث بشكل هستيرى وتهذى بكلمات غير مفهومة على الإطلاق ودموعها تنهمر من مقلتيها، وعندما استجمعت شتات أمرها، وهدأت من روعها.. قالت والدماء على يديها وملابسها: إن زوجى الذى يبلغ من العمر ٣٥ سنة ويعمل حدادًا بعد عودته من عمله ليلا- كالعادة - كان

يتحدث معى بعنف شديد وغضب لا أعرف بالضبط ما سببه. وبعد أن قمت بإحضار وجبة العشاء له وقام بتناولها أخذ يشكو لى ضيق ذات اليد وعدم مقدرته على تلبية احتياجات المنزل، وأنه سوف يفكر فى البحث عن عمل آخر غير الذى يعمل فيه حاليًا، وكنت أحاول أن أخفف عنه بكلمات طيبة تدل على مقدرتنا على الصمود على المستوى المعيشى المحدود حتى يأتى الفرج من عند الله.. ولكنه عاد إلى ثورته وهياجه وغضبه بعد ذلك بدون سبب، وعندما كان يستعد للنوم والاستلقاء على السرير كان ابننا الوحيد الذى لا يبلغ من العمر سوى سنة واحدة يبكى، مما سبب له نوعًا من الإزعاج ! وعندما حاولت تهدئة الطفل لم يستجب لى وظل فى عناده يبكى، وعندما فشل زوجى فى النوم بسبب بكاء الطفل، قام بضربه بقسوة ثم صفعه على وجهه، مما أدى إلى زيادة بكائه وصراخه، فقام بمسك رأس الطفل وأخذ يطرقها فى الحائط عدة مرات أمامى حيث وقفت فى ذهول واستغراب، ثم بدأت فى الصراخ عندما وجدت الدم يسيل وينهمر من رأس الطفل الصغير. وتوقف الطفل عن البكاء وأخذت الأم تصرخ وتستغيث بالجيران، وعندما حضر الجيران لمعرفة سبب هذا الصراخ، وجدوا الطفل غارقًا فى دمائه، ولفظ أنفاسه على الفور !!

الأم تضع «سم الفئران» فى كوب الماء وتقتل ابنها العاق !!

وهذه الحادثة المأساوية نشرتها الصحف المصرية بصورة بالغة وتابعت تفاصيلها لعدة أسابيع متوالية، وكانت بطلة هذه الحادثة.. أمًا.. أو سيدة تعمل ممرضة فى إحدى مستشفيات مدينة طنطا وكانت هى الجانى والمجنى عليها فى الوقت نفسه ! عندما قامت بقتل ابنها العاق لها والذى جعلها ترى معه ألوانًا من العذاب والألم والشقاء، حيث قامت

بقتله بوضع سم فئران له فى كوب الماء ليلفظ بعدها أنفاسه الأخيرة على الفور، ثم توجهت الأم القاتلة بعد ذلك إلى قسم الشرطة لكى تعترف بجريمتها وتسلم نفسها للعدالة.. وقد أكدت الأم فى اعترافاتها أمام النيابة ومن أقوال الشهود أن الابن - المجنى عليه - كان دائمًا سيئ السلوك، ومن مدمنى الخمور والمخدرات.. فبعد وفاة الأب وترك، الأسرة المكونة من الزوجة وثلاثة أبناء، ولد وبنتان، وعملت الزوجة فى التمريض لكى تنفق على أبناؤها، وكان أبناؤها فى مرحلة الصبا والشباب.. فكان الابن المقتول يعمل فى إحدى الورش الخاصة بتصنيع الأحذية، وما يتحصل عليه كل أسبوع ينفقه على مزاجه الخاص واحتياجاته، وملابسه حتى أصبح الابن مدمنًا للمخدرات والخمور وكان دائمًا يثور ويتعصب لأتفه الأسباب ويصرخ فى وجه أمه وكذلك شقيقتيه من أجل المال، وقد وصل به الأمر- كما تقول الأم - إلى محاولته اغتصاب شقيقته الصغرى أمامها، وفى أحد الأيام حضر الابن إلى المنزل ومعه بعض أصدقائه، وطلب من شقيقته مجالسة أحد أصدقائه من أجل أن يمنحه جرعة من المخدرات فرفضت، فما كان منه إلا أن قام بضربها بقسوة، وقد وصل به الحال إلى أن يطلب من أمه وشقيقتيه أن يقدموا أنفسهن لأصحابه المدمنين وتجار المخدرات لكى يمارسوا الجنس معهن وذلك حتى يحصل منهم على المخدرات التى يتعاطاها باستمرار ولا يمكنه الانتظار دون أخذها فى موعدها.. وكانت الأم المكلومة تصبر على هذا البلاء وعلى شرور ابنها وتدعو الله فى صلاتها أن يهديه ويشفيه من المرض والبلاء.. فكانت تحضر له النقود دائمًا عندما يطلب منها ذلك اتقاءً لشروره، بعدما فشلت الأم فى علاجه من كافة النواحى، فلم يعد تدخل أقاربه لإصلاحه نافعًا أو حتى الجيران أو أهل الحى الذى تعيش هذه الأسرة فيه!! حتى فاض الكيل بهذه الأم المسكينة وكان قلبها يتمزق دائمًا عندما كانت ترى ابنها الذى كان من المفترض أن يحل محل الأب بعد وفاته

ويكون ربّا للأسرة وحاميًا لها من شرور الأيام وتقلبات الزمن ولكنه أصبح هو نفسه يشكل تهديدًا خطيرًا لحياة هذه الأسرة الصغيرة من وقت إلى آخر، وكان يستنفد كل الأموال فى شراء المخدرات وتناول الخمور دون أن يعمل أو يتحصل على النقود من عمل يديه، بل كانت كل طلباته تجاب فورًا.. حتى ضاق الحال بالأم وبشقيقتيه.. فانتهزت الأم عودته فى أحد الأيام فى الصباح عند عودته من سهرته مع أصدقاء السوء- كالعادة - ووضعت سم فئران فى كوب الماء الذى طلبه منها، ثم قامت بخنقه بحبل الغسيل من رقبته وأحكمت قبضة الحبل حول رقبته دون أن تدرى بما تفعله، حتى لفظ الابن أنفاسه الأخيرة دون مقاومة منه ثم قامت بحمل جثته وقامت بإلقائها على ناصية الشارع بالحى حتى يرى الناس ذلك! ثم توجهت إلى قسم الشرطة لتسليم نفسها وتعترف بجريمتها والدموع تملأ عينيها !

جرائم أطفال السُفاح !!![1]

نوع آخر من الجرائم التى انتشرت مؤخرًا على استحياء داخل المجتمع بشكل كبير بطلتها المرأة التى تحولت من كائن رقيق إلى وحش كاسر يسلط أنيابه على فريسته ثم يقطعها إربًا إربًا، ثم يلقى بها إلى صناديق القمامة وفى الترع والمصارف! والفريسة فى هذه الجرائم يكون طفلا رضيعًا لا حول له ولا قوة كل ذنبه أن أمه قد حملته سفاحًا، وتحالفت مع الشيطان لتشبع رغباتها وشهواتها الجنسية ونفسها الأمارة بالسوء، ثم قامت بقتله فور ولادته حتى لا ينكشف أمرها وهى جريمة بلا شك غاية فى البشاعة واللاإنسانية تتجرد الأم خلالها من مشاعر الأمومة والرحمة وثوب الحنان، وتقتل طفلها الرضيع دون ذنب حتى تمحو العار الذى سببته بأيديها دون أن يعرف أحد، ثم تقوم بعملية

(١) جريدة الأحرار، ٢٠٠٤/١/١٢ م.

ترقيع للرحم لديها وتعود عذراء وكأن شيئًا لم يكن، فهذه الجريمة غريبة على مجتمعنا وقيمه وعاداته ورغم ذلك تكررت بكثرة فى الفترات الأخيرة ومع بداية الألفية الثالثة، وهذا إن دلّ على شىء فإنما يدل على وجود خلل ما فى المجتمع لا بد من علاجه فورًا.

وعندما نقلب أوراق هذه الجرائم فسوف نجد على سبيل المثال وليس الحصر، فى منطقة المقطم أنقذت العناية الإلهية طفلة حديثة الولادة من الموت عندما شاهد أحد الضباط شخصًا يقوم بإلقاء طفلة من فوق الهضبة، وقد اعترف بعدها المتهم بأنه عاشر ابنة خالته (٢٠ سنة) وأسفرت المعاشرة عن إنجاب هذه الطفلة التى قرر التخلص منها بهذه الطريقة البشعة والغير إنسانية.

وهناك جريمة أخرى ارتكبتها شيماء التى تبلغ من العمر ١٦ عامًا عندما لم تجد أمامها سبيلا للتخلص من طفلتها الرضيعة ٤ أشهر، والتى جاءت من علاقة غير شرعية مع أحد الأشخاص سوى وضع سم الفئران للطفلة فى الرضعة حيث لفظت أنفاسها الأخيرة فى الحال.

أما الست ولاء والتى تبلغ من العمر ١٨ عامًا فقد تحجر قلبها بدرجة كبيرة وألقت بطفلتها، التى لا يتعدى عمرها شهرًا، من الطابق الرابع فلقيت مصرعها فى منور العمارة وذلك بعد حملها سفاحًا من أحد الأشخاص بمدينة شبرا الخيمة.

وشهدت منطقة الرمل بالإسكندرية مأساة إنسانية بشعة عندما قامت أم بإلقاء ابنتها من الطابق الرابع لتلقى مصرعها وتغرق ابنتها الأخرى داخل «طشت» مياه ثم تحاول الانتحار بعد علمها باعتزام زوجها الزواج من أخرى بسبب إنجابها طفلة للمرة الثالثة فتم نقل الأم للمستشفى الجامعى وقد تبين أن الجثتين لطفلة عمرها ٥ سنوات والأخرى عمرها ٣ سنوات قامت والدتها بإغراقها داخل طشت ملىء

بالمياه، وأنها قامت بذلك للانتقام من زوجها بعد علمها أنه اعتزم الزواج من أخرى بعد أن أنجبت له الطفلة الثالثة منذ أسبوع، ثم قامت بقطع شرايين يدها للتخلص من حياتها عقب ارتكابها الجريمة.

زوجة تؤدب زوجها المشلول بعلقة موت !!! [1]

لم ترحم زوجة مرض زوجها وعجزه وضعفه وقامت بضربه بآلة حديدية حتى فقد الوعى ومات. وكما جاء فى التحقيقات أن السبب الذى دعا الزوجة إلى تأديب زوجها حتى الموت أنه يعانى من شلل تام وقعيد الفراش وتنتابه - أحيانًا - حالة تبول لا إرادى، وفى إحدى هذه النوبات صممت الزوجة على عقابه فانهالت على جسده بآلة حديدية ولم تتركه إلا فاقدًا الوعى رغم توسلاته إليها بأن ترحمه وقسمه أنه لن يفعلها مرة أخرى، وفجأة سقط الزوج مغشيًا عليه دون حراك فاستغاثت بالجيران الذين هرولوا لمساعدتها وعندما وصلوا إلى المستشفى وجدوا زوجها ٦٧ عامًا المشلول والموظف بالمعاش مصابًا بغيبوبة سكر وارتجاج بالمخ بالإضافة إلى عدد من الإصابات والسحجات بأجزاء متفرقة بالجسم، وظل راقدًا بغرفة العناية المركزة بين الحياة والموت إلى أن وافته المنية بعد خمسة أيام بعد العلقة الساخنة!

زوجة تقيم علاقة آثمة مع جارها وتهرب عندما تكتشف علم ابنتها بهذه العلاقة !!! [2].

فى البداية تقول الطفلة البالغة من العمر ١٠ سنوات ابنة الزوجة الخائنة وهى تحكى لجدها: كنت أشاهد أمى مرات عديدة تدخل شقة جارنا، فى الطابق العلوى، ولم تتوقف عن هذا بل كانت تأخذ ذهبنا من

---

(١) جريدة روز اليوسف، بتاريخ ٢٠٠٣/١١/١ م.

(٢) جريدة الأهرام، بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٢٠ م.

الدولاب وتعطيه لهذا الجار ووصل الأمر بينهما إلى العلاقة الآثمة بعد أن رأتهما يتجردان من ملابسهما، وذات يوم هددت الطفلة أمها بفضح علاقتهما الاثمة وأنها ستبلغ والدها فثارت الأم وتحولت إلى وحش ! وأمسكت بالابنة البريئة وجردتها من ملابسها وقام جارها باغتصابها، وهددتها أمها بأنها ستفضحها إذا فكرت فى كشف علاقتها مع عشيقها. وكررت الأم جريمتها عدة مرات مع طفلتها والتى كانت تصرخ وتستنجد «يا مين ينقذنى من فكى أمى وعشيقها» وكانا يكتمان صوتها ويحرقان جسدها بالسجائر، وظلت على هذه الحالة فترة من الوقت والأب كان يعمل بإحدى الشركات ويخرج من الصباح الباكر ويعود فى المساء كل همه يضعه فى عمله يريد أن يوفر المال ليسعد زوجته وطفلتيه، وكان أن اكتشف الأب ذات يوم اختفاء المشغولات الذهبية من الدولاب، انتابه الشك، رفض الجد أن يقول لابنه زوج الخائنة كلام ابنته وفضل أن يحتفظ بما سمعه من حفيدته وزادت آلامه فأصيب بجلطة وشلل أودى بحياته، ولم يعلم الزوج بحقيقة الأم إلا عندما استمع لطفلته التى روت له كل شىء وقامت الزوجة الشيطانية بالهروب مع عشيقها ولم يعودا حتى الآن فقام الأب بتحرير بلاغ فى قسم شرطة عين شمس باغتصاب طفلته.

وبعد سرد هذه الجرائم، هناك الكثير غيرها، نقول ونتساءل فى الوقت نفسه: هل غابت الأمومة عن شمس مجتمعنا أم أنها توارت خلف الهموم والمشاكل والمسئوليات والضغوط الحياتية، وغفلات الزمن الردىء التى باتت تدمر كل شىء من أحاسيس ومشاعر، حتى قلوب الأمهات التى أصبحت أشد قسوة من الحجارة وإن كانت الحجارة يتفجر منها الأنهار؟

أم تلقى بطفلها الرضيع
من شرفة منزلها خوفًا من الفضيحة !!![1]

تجردت أم من مشاعر الأمومة عندما ارتكبت جريمة من أبشع ما يمكن وهى قتل نفس بغير حق عدوانًا وظلمًا والمقتول ليس بعيدًا عنها أو أحد أقاربها أو حتى أشقائها أو حتى زوجها، بل هو فلذة كبدها وابنها الوحيد وذلك بعدما عشقت رجلا إلى درجة الجنون وأحبته إلى درجة أنها لا تستطيع أن تفارقه، فعندما طلبت منه الزواج رفض ذلك معللا عدم قدرته المالية على الإنفاق عليها الآن على الأقل لأنه متزوج من أخرى، فاقترح عليها أن يتزوجا عرفيًا فوافقت لحبها الشديد له، وأثمر هذا الزواج عن طفل، وعندما ألحت فى طلبها تحويل هذه العلاقة إلى زواج رسمى وافق الزوج على ذلك، ولكنه بعد زواجها بيوم واحد قام بتطليقها ورفض الزوج نسب الطفل إليه وذلك عندما ذهبت للاعتراف به، فخافت الأم من الفضيحة والعار فقامت بخنق الطفل وإلقائه فى ترعة بركة السبع وكأن شيئًا لم يكن!

طالبة عاشرت خطيبها
معاشرة الأزواج وألقت بالمولود من الشباك ![2]

وهذه قصة أخرى غريبة إلى درجة كبيرة تبدأ وقائعها عندما بدأ نضج الطالبة سماح وهى فى مرحلة المراهقة وبرزت أنوثتها وصارت فتاة ذات قوام ممشوق، تقدم لها خطيبها السائق «٢٠ عامًا» كانت فى مرحلة الثانوية التجارية جرت بينهما قصة حب وتمت الخطوبة فى حضور أسرة الطرفين، وتعددت اللقاءات بينهما وبدآ يمارسان الحب فى أماكن مختلفة بعيدًا عن أعين الناس إلى أن وقعت سماح فى المحظور وكان

---

(١) جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١٠/٣ م.

(٢) جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١٠/٨ م.

يعاشرها معاشرة الأزواج، إلى أن أثمرت هذه العلاقة عن طفل وبعد غيابها عن منزل أسرتها لفترة وبعد إتمام الحمل طلبت من خطيبها الإسراع فى الزواج منها إلا أن الخطيب رفض ذلك وتنصل من الطفل وسافر وهجر المكان إلى محافظة أخرى للعمل، ولا تعرف سماح طريقه فما كان منها إلا أن قامت بإلقاء الطفل الرضيع من شرفة منزلها بعد أسبوع من ولادته خوفًا من فضيحتها، إلا أنه تم اكتشاف أمرها وتم القبض عليها بعد ذلك من قِبَل رئيس مباحث الساحل، وعندما تم سؤال الفتاة عن السبب فى ذلك قالت إن التفكك الأسرى الذى تعيشه مع أسرتها وهو هجر الأب وزواجه من أخرى وزواج الأم من زوج آخر، جعلها تقدم على هذا العمل.

امرأة قرينة الشيطان !

الخالق عز وجل لم يخلق المرأة حيوانًا لإثارة الشهوات وإطفاء الغرائز وإشباعها، وإنما خلقها كما خلق الرجل وجميع المخلوقات لعبادته ولتحقيق أهداف سامية ونبيلة فى المجتمع الإنسانى، ويكفى أنه- عز وجل- قرن المرأة بالرجل فلم يجعل بينهما فى رسالة الحياة إلا درجة واحدة يحكم بها الواقع الذى تؤكده الفطرة لا محالة. والشريعة الإسلامية السمحاء قد كرمت المرأة ورفعت من شأنها إلى أرقى المنازل، وقد سوت بينها وبين الرجل فى الحقوق المدنية بكل أنواعها.. والجريمة منذ بدايتها إن كانت قد ارتبطت بالرجل، فإن للمرأة أيضًا نصيبًا كبيرًا منها، وقد تكون هى السبب الرئيسى فيها ! كما قال المفكر الألمانى هيجل «عندما تقع الجريمة فابحث أو (فتش) عن المرأة»!

والتغيرات التى طرأت على بنية المجتمع المصرى ألقت بظلالها على طبيعة المرأة نفسها التى خرجت إلى سوق العمل، واختلطت فى الحياة وتعاملت مع الصالح والطالح، وواجهت العديد من المواقف الصعبة وامتهنت مختلف المهن.. وفجأة وجدنا المرأة قاتلة.. سارقة.. مزورة.. مرتشية.. هاربة بأموال البنوك ! .. ساقطة تمارس الدعارة.. خائنة لزوجها.. تمارس الدجل والشعوذة... إلخ.

فى دراسة هامة قام بها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية تم رصد جرائم القتل والعنف التى ارتكبها الجنس الناعم بنسبة ١٠٠٪ وربطت الدراسة بين الجريمة الحريمى والمستوى التعليمى، حيث تأكد ارتفاع نسبة الاتجاه إلى العنف لدى الأميات بنسبة ٨٧٪.

الأمر الذى يستوقف الباحثين والمتابعين بل ويصيب الرأى العام بالدهشة والذهول مما يدعونا لإعادة قراءة المرأة والتوقف أمامها من خلال هذه النماذج البشعة. وعندما نقلب فى دفاتر الأسرة المصرية وأوراق هذا الملف المثير سوف نجد فيه عجائب كما نشرتها الصحف والمجلات، فمثلا:

- زوجة تمزق جسد زوجها بالسكين انتقامًا منه لضربها ومنعها من السفر لزيارة شقيقها.

- وفى منطقة المرج ذبحت ربة منزل زوجها بالسكين داخل مسكنها بسبب معاتبته لها على تأخرها خارج المنزل.

- وفى المطرية طعنت سيدة زوجها العامل بسكين حاد وتركته مدرجًا فى دمائه وفى حالة سيئة بين الحياة والموت لرفضه تطليقها حتى تتمكن من الزواج بشقيقه الأكبر.

- وكانت أبشع الجرائم المشهورة لتلك السيدة التى اشترت مجموعة من الأكياس البلاستيك، ثم قامت بذبح زوجها وتقطيعه إربًا ثم وضع كل جزء فى كيس ثم قامت بإلقائه فى أحد المصارف، وأبرز مثال حى هو ما تحولت قصته إلى فيلم سينمائى بعنوان: «المرأة والساطور».

نساء فى غرفة الإعدام !!! [1]

فى عام ٢٠٠٠ شهدت غرفة الإعدام توقيع عقوبة الإعدام على أربع سيدات قتلن أزواجهن، للتفرغ للعشيق، وكما تقول أوراق محكمة الجنايات التى أصدرت الحكم أن المتهمة الأولى وتدعى (ص م) وعمرها - ٣٢ عامًا - تقيم فى منطقة حلوان وهى زوجة لرجل يكبرها بثلاثين عامًا ويعمل الزوج بائع خضار على عربة كارو، وقد كانت المرأة قد أنجبت منه طفلين الأول عمره حوالى ٤ سنوات والثانى عمره ٣ سنوات، وبعد فترة الزواج التى دامت واستمرت حوالى ٦ سنوات متصلة لم يشعر فيها الزوج بأية تغييرات على زوجته التى كانت تنتظر فرصة خروجه من المنزل بحثا عن لقمة العيش يسد بها أفواه أسرته وساعيًا إلى رزق أبنائه حتى تلتقى بجارها البالغ من العمر ٣٢ عامًا، أى قريب جدًا من عمرها، لكى تمارس الجنس معه وتستمتع فى أوقات عدم وجود زوجها فى المنزل حتى أصبحت هذه العلاقة الآثمة عادة يومية تعددت من خلالها اللقاءات المحرمة بينهما طوال عامين كاملين، وعندما رفض الزوج طلب زوجته بالطلاق ولشدة احتياجه لها فى ظل ظروف صعبة يمر بها الزوج اتفقت مع عشيقها على التخلص منه، حيث قامت بوضع مخدر له فى الطعام ثم خرجت إلى جارها العشيق الذى حضر مسرعًا فور استدعائها له ومعه سكين، وقاما معًا بذبح الزوج وتقطيعه إربًا إربًا وبسرعة قاما بوضع أجزاء جسده وأشلاءه فى جوال من البلاستيك، ثم حملاه على السيارة الكارو المملوكة للزوج المذبوح وقاما بإلقائه فى ترعة المريوطية بالهرم حتى لا يفتضح أمرها وكأن شيئًا لم يكن، ثم عادت الزوجة الشيطانة وعشيقها إلى الشقة يمارسان الحب فى جو هادئ خال من التوتر والقلق والخوف. وبعد مرور يومين أبلغت الزوجة عن اختفاء زوجها فى ظروف

(١) مجلة روز اليوسف، ٢٠٠١/٢/١٦ م.

غامضة وبعد أربعة أيام كانت أجهزة الأمن قد عثرت على الجثة طافية على سطح المياه فى شكل مقزز فى ترعة المريوطية، وليس بها أى دليل على هوية وشخصية هذه الجثة وهو مفصول الرأس تمامًا وبعد التقاط صورة له وعرضها على الجيران والأهل قرروا أنها صورة الزوج الغائب، فى حين أنكرت الزوجة معرفتها بالجثة وقالت بأنه ليس زوجها ومؤكدة على أن الصورة تشبه زوجها فقط ولكنها ليست هى، وأن زوجها يقوم ببيع الخضار فى مناطق حلوان والتبين والمعادى ولا يستطيع الذهاب إلى منطقة المريوطية بالهرم. ومن خلال التحريات وتشديد المواجهة معها اعترفت فى النهاية بأنها قتلت زوجها بمعاونة جارها العشيق الولهان الذى أحبها منذ فترة واتفقا على التخلص من الزوج حتى يخلو لهما الجو وقد خلا.

زوجة تعشق سائق التاكسى
ويتفقان على التخلص من الزوج[1]

وفى منطقة إمبابة بمحافظة الجيزة كانت هناك واقعة يشيب لها الولدان وهى قيام زوجة تدعى (فتحية . م) ربة منزل- ٢٨ عامًا- بقتل زوجها بالتعاون مع عشيقها سائق التاكسى دون شفقة منها لهذا الزوج الذى يكبرها بعشر سنوات، تبدأ القصة عندما كان شباب المنطقة يتصارعون من أجل الفوز بالزواج من فتحية التى كانت تتمتع بجمال وجاذبية ليس لها حدود، فهى بيضاء اللون وذات قوام ممشوق وعينين جميلتين تخفى من ورائهما خبايا شيطانية ورقة شديدة وأنوثة طاغية إلى أن انتهى هذا الصراع على فتحية جميلة المنطقة وحسم لصالح أحد الأشخاص الذى يكبرها بعشر سنوات ويعمل فى المعمار وله صلة قرابة تربطه بهم من نفس البلد التى عاش فيها والدها بالصعيد من قبل،

(١) جريدة الأهرام، ٢٠٠٣/٢/١٠م.

عاشت فتحية مع زوجها وكانت سعادتها غامرة بالرغم من دخل زوجها البسيط إلا أنها كانت تدعى فى وجودها مع زوجها سعادة ليست لها حدود، وبعد فترة زواج دامت عامًا ونصف عام كانت الزوجة قد تعرفت على سائق تاكسى يسكن فى نفس المنطقة وقام بتوصيلها من قبل ورفض أن يأخذ ثمن التوصيلة من منطلق الشهامة المزعومة لأبناء المنطقة، وتعددت اللقاءات بينهما من خلال التاكسى وكان فى كل مرة يشترى لها هدية وينفق عليها بسخاء ويدعوها لتناول المشروبات والأطعمة فى بعض الأمكنة العامة، ويشترى لها ثيابًا وملابس جديدة وتدعى أمام زوجها بأنها هدية من والدتها أو إحدى شقيقاتها. نشأت بينهما علاقة عاطفية بعد أن صرح لها بحقيقة مشاعره نحوها وهى كذلك صرحت له بمشاعرها واتفقا على لقاءات متعددة بشكل مستمر، وكان يمارس معها الحب فى التاكسى فى أماكن مختلفة، وبعد أن انتشرت قصتها فى المنطقة شك الزوج فى سلوكها وبدأ يضربها ويعاقبها باستمرار ورفض خروجها من المنزل، واكتشف بعد ذلك أنها لا تريد الإنجاب منه من خلال تناولها باستمرار لحبوب منع الحمل بعد أن كانت تعايره بعدم الإنجاب، وبعد مرور ثلاثة أشهر على حبسها فى المنزل اتفقت مع العشيق سائق التاكسى على التخلص من الزوج، وفى أولى خطوات الزوجة الشيطانية للتخلص من الزوج هى أنها طلبت من عشيقها أن يصدمه بسيارته التاكسى أثناء سيره فى الطريق، لكن عشيقها رفض ذلك واتفقا على قتل الزوج بعد اصطحابه إلى مكان ناء وقتله، وبالفعل دبرت الزوجة لقاءً للزوج فى مكان مهجور وكان السائق الولهان فى الانتظار وفى يده سكين وكان ينتظرها بفارغ الصبر، وما أن شاهد كلا من الزوج والزوجة معًا حتى هجم على الزوج وطعنه عدة طعنات نافذة ثم ضربه فوق رأسه بحجر ضخم فأرداه قتيلا فى الحال، ثم حمله مع الزوجة الخائنة داخل التاكسى وقاما بإلقاء الجثة فى منطقة مهجورة على طريق مصر

الإسكندرية الصحراوى، وعادت الزوجة إلى المنزل وكأن شيئًا لم يكن وظلت على هذا الحال ثلاثة أيام حتى فوجئت بشقيق زوجها يطرق الباب للسؤال عن شقيقه، فأخبرته الزوجة اللعوب بأن زوجها قد اختفى منذ ثلاثة أيام ولم تعرف عنه شيئًا وأنها تظن أنه سافر إلى البلد فى الصعيد لقضاء أمر مهم، ولكن الأخ ارتاب فى كلام زوجة أخيه التى بدت عليها علامات الخوف، فقدم شقيق زوجها بلاغًا إلى قسم الشرطة يتهم فيه زوجة أخيه بأنها وراء اختفاء زوجها، وبعد جمع التحريات ومواجهة الزوجة والتشديد عليها ومقابلة بعض أفراد الجيران اعترفت الزوجة بقتل زوجها، وأخبرت عن مكان الجثة ومكان العشيق سائق التاكسى، وتم القبض عليها وأحيل المتهمان للنيابة وصدر الحكم بعد ذلك عليهما بالإعدام شنقًا.

زوجة تقتل زوجها بوضع سم له فى الطعام لأجل عشيقها [1]

يقال إن المرأة عندما تتمرد تتحول إلى أنثى النمر أو أنثى الأسد التى قد تفوق شراستها شراسة زوجها ووالد أطفالها، فالمرأة التى تقطع جثة زوجها شرائح وقطعًا وتلقيه فى أماكن متفرقة لكى تتخلص منه إلى الأبد وتشفى غليلها حتى تحقق مآربها الشيطانية، وتقع فى الإثم الكبير وهو الزنا وخيانة الأمانة، وتضرب القيم والتقاليد والأخلاق والأدب والحياء فى مقتل فتكون نهايتها معروفة هى الندامة والحسرة والجحيم وبئس المصير فى الدنيا والآخرة. وفى منطقة المرج قامت الزوجة وتدعى زينب محمود البالغة من العمر - ٣٨ عامًا - بقتل زوجها مع سبق الإصرار والترصد وذلك بالاشتراك مع عشيقها. تبدأ وقائع هذه القصة عندما تعرفت زينب على أحد الأشخاص بطريق الصدفة وأعجبت به لموقفه

(١) جريدة الأهرام، ١٢/١١/٢٠٠١م.

الذى قام به من أجلها عندما قدم لها خدمة ما وكانت الخدمة هى توصيلها للمكان الذى تريده بالضبط، فتبادلا أرقام التليفونات معًا على الرغم من أن زينب كانت متزوجة آنذاك، وظلت الاتصالات تدور بينهما عن طريق الهاتف لفترة طويلة إلى أن توطدت العلاقة بينهما، ثم بعد ذلك تعددت اللقاءات بينهما بصورة أكبر إلى أن صرح لها العشيق بحبه لها بدرجة كبيرة وأنه لا يستطيع الابتعاد عنها على الإطلاق. وكانت زينب فى نفس الوقت قد بدأت تمل وتشعر بالضيق من عيشة زوجها الذى لا يأتى بجديد فى حياته والتى أصبحت أشبه بالروتين الحكومى، فاتفقت مع عشيقها على أن يتقابلا فى المنزل فى حالة خروج الزوج إلى العمل، وفى إحدى المرات قامت الزوجة اللعوب بشراء سم فئران ثم قامت بوضعه فى الطعام وقدمته لزوجها وكانت فى هذا اليوم قد اتفقت مع عشيقها على الحضور إلى المنزل، وظل العشيق تحت السرير فى غرفة نوم الزوجة بعد أن مارس الحب معها لمدة ساعتين عندما حضر الزوج وجلس يتناول الطعام الذى أحضرته له زوجته، وعندما وجدته بعد الأكل يتقيأ ويصرخ من شدة المغص قامت بمعاونة عشيقها بقتله بآلة حادة بقوة حتى سقط على الأرض مدرجًا فى دمائه ولفظ أنفاسه الأخيرة فى الحال، ثم قامت الزوجة والعشيق بعد ذلك بحمله ليلا والناس نيام ثم قاما بإلقائه فى الترعة وكأن شيئًا لم يكن، ولكن القدر كان عادلا دائمًا تم كشف أمرها وانهارت واعترفت بجريمتها وبمكان عشيقها، وصدر الحكم بإعدامها وكذلك عشيقها.

وبنفس الطريقة تمامًا قامت عبير بقتل وذبح زوجها بالاشتراك مع عشيقها الذى ظلت تحبه دون علم زوجها، وعندما سنحت الفرصة قامت بقتله وحكم عليها بالإعدام شنقًا وتوجيه تهمة قتل زوجها مع سبق الإصرار والترصد.

وهذه الحوادث ما هى إلا أمثلة مختارة من حوادث كثيرة مشابهة

تظهر فيها حواء وهى ترتدى ثوبًا ملطخًا بالدماء، وتمسك فى يديها ساطورًا وسكينة وتقتل به زوجها أو تذبحه قطعًا وتلقى به فى الترع والمصارف وتقضى على مستقبل أسرة بيدها.

تفسير الجريمة الأسرية !

يقال إن الاستقامة هى الجوهر الذى تصبو إليه كل كتب التربية والتعليم ولا سبيل إلى تحقيق الاستقامة إلا باتباع كتاب الله وسنة نبيه، ثم يستفتى الإنسان قلبه فى كل شأن من شئون الدنيا، والقلب هنا هو موضع الضمير أو الأنا الأعلى كما يراها علماء النفس فإن لم يكن المرء رقيبًا على ذاته حاجمًا لأهواء نفسه ومسيطرًا على شهواته ومطامعه فلا سبيل إلى إدراكه النجاة ووصوله إلى بر الأمان. وهذه هى مجموعة من الآراء النفسية والاجتماعية لمجموعة من العلماء كل فى تخصصه عن الجرائم الأسرية والتى أصبحت شبحًا يهدد أركان المجتمع كله- فماذا قالوا؟

الدكتور فكرى عبد العزيز أستاذ الطب النفسى يقول: إن للجانب النفسى تأثيرًا فى حدوث السلوكيات العنيفة بين أفراد المجتمع بشكل عام وداخل محيط الأسرة بالإضافة إلى غياب المفاهيم التربوية السليمة فى التعامل مع الأطفال وهى الفترة التى يتشكل فيها الوجدان والشخصية بالإضافة لفترة المراهقة، أضف إلى ذلك:

- درجة الثقافة والتدين والضغوط الاقتصادية التى يتأثر بها كل أفراد الأسرة حسب مسئولياتهم ودرجة تعاملهم مع الأعباء الجديدة والتى تكون أحيانًا على حساب العلاقات الاجتماعية والأسرية، وكذلك الجهد النفسى الواقع على الأم المصرية فى زيادة المسئولية لمشاركتها زيادة دخل الأسرة مع المطالبات الأخرى الواجب عليها فعلها، فكل هذه الضغوط التى تتعرض لها الأم جعلتها عاجزة عن متابعة الأبناء فحدث نوع من التسيب وفقد الأمان الصحى، وكل هذا أدى مع الحالة

الاقتصادية والتطور التكنولوجى السريع الذى أدى إلى شيوع ثقافة طلب الكماليات وتحويلها إلى ضروريات وأساسيات فى كل بيت مثل الدش والموبايل والسيارة، وهى أعباء جديدة أضيفت على كاهل الأسرة المصرية وأفرزت أمراضًا اجتماعية ونفسية وكذلك جرائم يعاقب عليها القانون خارج الأسرة داخلها أيضًا.

ويشير د. فكرى: إلى وجود نسبة كبيرة من غير القادرين على الزواج ونسبة عالية تأخر فيها سن الزواج، فقد وصل عدد غير المتزوجات فوق سن الثلاثين إلى ١٠ ملايين فتاة وفقًا لإحصاءات رسمية عام ٢٠٠٥ وذلك يرجع فى كثير من الأحيان إلى الظروف الاقتصادية الطاحنة التى قد تجعل المرأة أكثر عدوانًا لمجتمعها وكل المحيطين بها. وكذلك الشاب الذى تأخر زواجه وعمله فيكون شخصية عنيفة وقابلة للإثارة وارتكاب الجريمة لحل مشكلته الخاصة وتحقيق الحياة الكريمة حتى ولو كانت الجريمة فى حق أحد أفراد أسرته.

ويؤكد د. فكرى: أن كل هذه الجرائم الأسرية الناتجة من كل هذه العوامل تحتاج إلى دراسة نفسية اجتماعية رغم أنها لم تصل إلى درجة الظاهرة وذلك بدراسة تشمل جميع مراحل العمر المختلفة لأبناء المجتمع لأن هذا النوع من الجرائم وصل إلى حد الجرائم غير المعقولة وهذا نتج عن مثل الهوية الإنسانية.

- تفسير الدكتورة عزة كريم (خبير أول العلوم الاجتماعية بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية).

ترى أن هناك سلوكيات عنيفة جديدة بدأت تنتشر فى المجتمع المصرى حتى وصلت لأكثر المؤسسات ترابطًا وهى الأسرة التى كان تتميز بسمات أساسية كالتضحية والحماية والترابط وتحقق الحب والتواؤم بين أفرادها.

وكدنا نرى يوميًا (الكلام للدكتورة عزة) جريمة عنف أسرية على

صفحات الجرائد بخلاف ما يقع فى المجتمع من جرائم ولا ينشر، وهو يُعد مؤشرًا خطيرًا لما أصبح عليه حال الأسرة المصرية. وقد ظهرت هذه الجرائم نتيجة لعدة متغيرات اجتاحت المجتمع بأسره على رأسها سوء الاختيار للزوج والزوجة، وهو ما يظهر فيما بعد فى تدهور العلاقات الزوجية واتسامها بالقلق المستتر الذى يدفع كل طرف لتحقيق مصلحته الذاتية وتفضيل مصالحه الشخصية على المصلحة العامة للأسرة.

فأصبحت المرأة تهتم بتحقيق طموحاتها الخاصة واكتناز مرتبها بعيدًا عن أعين زوجها، كذلك أصبح الزوج يخفى أمواله عن زوجته ويعيش حياته العاطفية بعيدًا عن أعينها وهو ما يؤثر على تنشئة الأبناء بحيث ينطبع الشكل الذاتى والمصالح إلى ذلك العناد الذى غير العلاقات الزوجية، حيث لم تعد الزوجة تسير دائمًا فى ركب الزوج خاصة إذا كان لا يؤدى التزاماته وواجباته نحو الأسرة وهو ما يهيئ الجو لوقوع جرائم العنف نتيجة تراكم المشادات اليومية المتلاحقة.

وتضيف: إن اختلاف أساليب التنشئة انعكس على سلوك الأبناء ونقل إليهم الشعور بالتوتر والارتقاء بالقيم المادية على ما عداها من القيم، بحيث أصبح معظم الأبناء يفهمون التربية بأنها توفير المأكل والملبس والتعليم أى أنها تنحصر فى أمور مادية فقط بحيث لم يعد هناك وقت للجلوس مع الأبناء والتحاور معهم وغرس قيم الدين والتسامح، بل على العكس، أصبحت ثقافة العنف من أهم ما يغرس الآباء فى أبنائهم وهى ثقافة تقوم على العناد والتحدى والانتقام ويتجلى ذلك فى جملة «اللى ضربك اضربه» التى يقولها ملايين الآباء لأبنائهم. وفى المدرسة يزداد الأمر سوءًا حيث يبدو الصراع المادى متجليًا بدلا من غرس القيم الإيجابية فى الطلاب أى أن الماديات أصبحت هى المحرك الأساسى الذى احتل مكان النسق الأخلاقى القائم على الترابط والتسامح، وتفاعل كل ذلك أدى إلى تغلغل العنف داخل الأسرة المصرية وتحول العلاقات

القائمة فيه إلى قنابل موقوتة مستعدة للانفجار فى أى لحظة.

وهو ما ينتج عنه أبشع الجرائم دون مراعاة لصلة الرحم أو لعلاقة زوجية أو غيرها من علاقات القرابة، ولا يجب أن نغفل دور الدراما التى تُقدم فى وسائل الإعلام والتى تبرز الصراعات الأسرية وكيف يديرها أفرادها بمزيد من العنف حتى عند المطالبة بالحقوق وهو ما يعطى انطباعًا للأبناء بأن هذا هو السلوك الطبيعى.

- تفسير الدكتور أحمد المجدوب (المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية).

فيؤكد أن الإحصائيات الأخيرة الصادرة عن وزارة الداخلية تشير إلى أن ٦٠ ٪ من جرائم العنف على وجه الخصوص - القتل - تقع داخل الأسرة نفسها. يفسر ذلك بأن التحولات الاقتصادية السريعة وما صاحبها من تغيرات اجتماعية هزت القيم الاجتماعية الأصلية من جذورها وعززت القيم المادية مما أدى لضعف الصلات الأسرية. أما لماذا تتزايد الجرائم داخل إطار نفس الأسرة فيرجع ذلك إلى أنه كلما ازدادت العلاقة مباشرة واستمرارية تزايد فرص الصدام والتصادم. فالمشكلة التى تقع فى إطار الأسرة تتميز باستمرار المواجهة نتيجة لتواجد أطرافها فى نفس المكان وأنها تأخذ شكلا أكثر حدة مع مضى الوقت، حيث تبقى المشاعر السلبية والانفعالات مختزنة إلى أن تتفجر ويفقد الإنسان السيطرة على نفسه.

وترجع جذور العنف فى الأساس إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية حيث تفقد الأسرة المصرية القدرة على التحاور، ويتربى الطفل على اللجوء للعنف لفرض رأيه على الآخرين، وفى المدرسة يزداد لديه الاقتناع بأن العنف هو السبيل الوحيد للحصول على حقه ولا يخفى على أحد أن المدرسة اليوم صارت بؤرة للعنف، والجرائم الأخيرة تؤكد ذلك. ويرجع ذلك إلى أن الأسرة لا ترشد أبناءها للجوء للقنوات الشرعية لحل

أى نزاع، ومن ناحية أخرى تلعب وسائل الإعلام دورًا أساسيًا فى ترسيخ مفهوم العنف حتى يسير العنف والجنس كخطين متوازيين فى معظم أعمالنا الدرامية حيث يعطى للبطل الحق فى أن يكون خصمًا وحكمًا فى نفس الوقت يسعى للحصول على حقه بيده حتى لو قتل أو سرق فى سبيل ذلك، كما أن اختيار أبطال تلك الأعمال الدرامية ممن يتسمون بخفة الظل واللطف والوسامة يعطى للشباب نموذجًا محببًا للعنف يسعون فيما بعد للاقتداء به حينما تواتيهم الفرصة.

ومع اختفاء الثقافة التقليدية واهتزاز ثوابتها لم يحل محلها بناء ثقافى جديد يسعى لترسيخ عادات وتقاليد وأعراف تحافظ على كيان المجتمع، ومن ناحية ثانية غابت المؤسسات الدينية ولم تعد تمارس دورها خوفًا من فتح باب الحوار والتطرف لما هو أبعد من المشكلات الاجتماعية بمعنى آخر الدخول فى المحظور.

وهناك أسباب ثانوية للعنف منها: تلوث البيئة والازدحام الذى يؤثر على أعصاب الشباب ويحولها إلى وحوش مكبوتة فى انتظار الفرصة. فضلا عن غياب الإخصائى النفسى وعدم قيام الإخصائى الاجتماعى بدوره سواء لعدم الاعتداد به أو لتكليفه بالتدريس لسد العجز فى بعض التخصصات كل هذه العوامل تكرس لمفهوم العنف وتجعل من السهل الوصول لمرحلة الانفجار سواء تم ذلك فى إطار الأسرة أو خارجها.

- رأى د . سامية خضر (أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع والفلسفة بكلية التربية - جامعة عين شمس).

الدكتورة سامية خضر ترى أن هناك عدة عناصر تلعب دورًا خطيرًا فى الجرائم الأسرية التى لم يعتدها المجتمع المصرى من قبل ويأتى على رأسها الإدمان، فمعظم هذه الجرائم تحدث تحت تأثير المخدر وقد طالبنا الصحف عدة مرات بمراعاة التأكيد على تلك النقطة وإيضاحها فى عنوان الخبر ليظهر السبب الحقيقى فى تجلى مستوى العنف لدرجة

قتل أحد أفراد الأسرة ليضاف إلى ذلك الجانب المادى والضغوط الاقتصادية التى تساعد على الدخول لمرحلة الانفجار، وهناك عدة معادلات ينتج عنها دائمًا الجريمة: المعادلة الأولى تأتى نتيجة لتضافر عوامل الجهل والفقر والإدمان، والمعادلة الثانية فتنتج عن تفاعل الثراء والإدمان والفراغ، أما المعادلة الثالثة فتشمل الازدحام والضغوط المستمرة والقيم المتدنية.

وهناك تيار عام يخترق المجتمع بسرعة رهيبة ويلقى بكل القيم أرضًا ويعلى من شأن العنف ويغذى هذا التيار وسائل الإعلام المختلفة التى صارت تسمح بنشر ثقافة العنف وتسمح بالكلمات والألفاظ النابية ليعتادها المتفرجون ويكررونها، فضلا عن المساس بأهم القيم التى تعارف عليها المجتمع حيث صارت هناك أعمال درامية كثيرة تبسط الأمور وتبرز القيم الأصلية على أنها نوع من التخلف وتشجع على السلوك المنحرف، فضلا عن وجود تيار يدعم ذلك الانحلال بحيث يصعب على الأسرة المتمسكة بالقيم مواجهة كل هذه التيارات، وفى ظل غياب مؤسسة تتصدى لذلك، وهو ما أدى لسلبية الآباء والارتكان إلى أن هذا الجيل مختلف عن جيلهم وله قيم ومعايير وسلوكيات يجب التسليم بها وقبولها كما هى دون توجيه والدخول فى حوارات لا تثمر.

كل ذلك أدى إلى تفشى الظواهر الإجرامية نتيجة لارتفاع القيم الجديدة واعتلالها قمة المجتمع وما يترتب عليه من فساد الذوق ونجاح الفن المبتذل، فى حين هبطت القيم الإيجابية لأن التيار أقوى منها. وكما كانت الأسرة هى أولى المؤسسات الاجتماعية التى تخلت عن دورها فهى كذلك أولى المؤسسات التى تفشت فيها الجرائم وجنت ثمار العنف فى صورة جرائم غاية فى القسوة لم تكن متوقعة فى مجتمع كان وفى وقت قريب متسامحًا ومترابطًا.

جرائم الأبناء
ضد الأمهات والآباء!!

عندما نقلب أوراق هذا الملف الشائك عن جرائم الأبناء ضد الآباء والأمهات سوف نجد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر!! فالأم والأب اللذان ذاقا «الويل» - والأمرّين - من أجل أن يكبر الأبناء أمام أعينهم وتشتد أعوادهم، وينجوا بهم من المرض تارة ومن الموت تارة أخرى. إلى أن وصلوا بهم إلى بر الامان.

الأم تحملت مشقة حمل الابن لمدة تسعة أشهر فى بطنها ثم صبرت وتحملت سنوات حتى استطاع هذا الطفل السير على أقدامه.. بل ويجرى ويلهو أمامها. الأب.. ذاق من التعب والكفاح والعمل ما يكفى حتى يستطيع توفير الطعام والأمان والاستقرار لأفراد أسرته.

بعد كل هذه المعاناه التى لاقاها الوالدان تجاه أبنائهم.. فجأة يتحول الأبناء - بعد أن يصلب أعواد جسدهم - إلى أشباح وجناة وأجساد بشرية تحمل بداخلها أحجارًا وليس قلوبًا تجاه والديهم، بل إنه فى وصفهم بالأحجار ظلم للأحجار نفسها. فنجد جزاء الوالدين قد يصل إلى الضرب والإهانة والنهر والتلفظ بأحقر الألفاظ، بل والقتل والتعذيب والطرد من المنزل!

ففى أى زمن نحن نعيش؟! وإلى أين تأخذنا هذه الجرائم التى صارت تهدد كيانات المجتمع المتمثلة فى الأسرة المصرية؟

وسوف نعرض بعض الوقائع التى نشرتها الصحافة المصرية فى الفترات الأخيرة، ودونتها محاضر الشرطة فى أقسام البوليس والنيابات وأروقة المحاكم.

بسبب المخدرات
وحضن عاهرة يذبح أمه أثناء صلاتها!!

لم يصدق نفسه الأمارة بالسوء أو يقتنع بما اقترفته يداه فقد انتفض جسده الضئيل وكأنه يستيقظ من كابوس مخيف ظل جاثمًا على أنفاسه يكاد أن يحبسها داخل صدره.. كان يلهث وكأنه عائد من رحلة طويلة وسفر شاق ومجهد.. نظر إلى يديه وهو منهوك القوى وإلى سكين تتشبث بها أصابعه تتساقط منها قطرات متلاحقة من الدماء.. ومسجاة أمامه على الأرض جثة أمه ملقاة بلا حراك فاقدة الحياة وحولها بركة من الدماء تلوث وجهها وكل جزء من جسدها!

استدار فريد ينظر حوله فى فزع وعيناه تكادان تقفزان خارج مقلتيهما متسائلا: من فعل هذا بأمى؟

بدأت هذه المأساة العظيمة فى حى إمبابة الشهير وهى منطقة شعبية فقيرة فى مستواها المعيشى والاقتصادى حيث يعيش فريد ابن السبعة عشر ربيعًا، والأم موظفة وكذلك الأب.. والبيت مغلف بالأمان والاستقرار ويظلله حب الوالدين للابن الوحيد، ويؤديان الفرائض فى الصلاة والعبادة ولكن الرياح أتت على هذه الأسرة بما لا تشتهى، وتغير حال الأسرة مع قدوم امرأة ملعونة.. ذات ماض مشين.. اكتسبت الانحراف منذ الطفولة.. تعرف كيف توقع بالصيد الثمين.. تملك الكثير من الأساليب المعوجة. اجتمعت مع فريد ذلك الطفل البرىء ذو الخلق والطباع الحسنة والذى سقط فى قبضة يدها. فوقع فى الفخ كعصفور شارد وقع فى شباك صائد ماهر.. حيث بدأت المرأة فى تنفيذ مخططها فى تحويل فريد إلى زبون دائم وعبد للمخدرات، وبالفعل نجحت فى ذلك وفى بضعة أيام التفت حوله واقتربت منه ولم يشعر بخطرها القادم

ولا بسمومها القاتلة التى تبثها فى روحه فى جرعات المخدر. وكانت له رؤية أخرى، حيث رأى فى الفتاة الحب والجمال.. لدرجة أنه تعلق بها بشدة وأصبح لا يستطيع أن يفارقها لحظة واحدة.

وازداد تعلقه بها عندما سمحت له بأن يمارس رجولته معها، وهو لا يزال على أعتاب مرحلة المراهقة، وسمحت له بأن يعاشرها جنسيًا، وتخلص معها من خجله ووجد فى نفسه صورة جديدة يتمسك بها بشدة وبدأت الشيطانة تلعب عليه وتمتص دمه- أقصد أمواله- رويدًا رويدًا.. وازداد تردد فريد على شقة هذه المرأة الشيطانة إلى أن وصلت الأخبار إلى والدته والتى اكتشفت سرقة مبلغ كبير من المال من خزانة والده.. حيث لاحظت أن ابنها أصبح يطلب منها أموالا كثيرًا بحجج كثيرة، وأحواله تغيرت إلى الأسوأ بل تأكدت من إدمانه للمخدرات.. فكتمت هذا السر حتى يأتى والده من السفر.. وعرضت المرأة الزواج من هذا الشاب فريد مقابل المخدرات والحب المزعوم.. فوافق وعرض الأمر على أمه فرفضت، فنهرها وصرخ فى وجهها وكان شديد الانفعال والهذيان. فأصرت الأم على رفضها.. واعتبر فريد هذا التصرف من أمه إهانه لا تغتفر فقد أصبح فى نظر نفسه رجلا يجب ألا يُهان! فماذا لو علمت فتاته؟! فاستل سكينًا وخبأها بين طيات ملابسه وبعد أن تناول جرعة المخدرات ورجوعه لمنزل أمه، وجدها تصلى وتسجد لله وتدعو له، فقام بغرز السكينة فى ظهرها وهى راكعة فاستدارت له فى ألم شديد وقالت له: «لماذا فعلت هذا يا فريد وأنا بأحبك.. ربنا يسامحك؟».

طبيب يذبح أمه ثم يجلس بجوارها ويقول: «عقول الناس جرى لها إيه؟!»

لقد وضع الله عز وجل دستورًا فى العلاقة بين الآباء والأبناء عندما ذكر فى محكم آياته: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء/ ٢٣).

وكذلك صدق رسول الله ﷺ حينما سأله أحد الصحابة عن أحسن الناس صحبة له فقال له: «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك» وهذه الجريمة التى سوف نعرضها لا يصدقها عقل ولا تتفق مع منطق، ولكنها حدثت بالفعل.. وكان بطل هذه القصة طبيبًا بشريًا متخصصًا فى علاج الأمراض النفسية يتوافد إليه الكثير من المرضى النفسيين والافراد العاديون لكى يستشيروه فى مرضهم ويتلقون منه العلاج والوسيلة.. فقد تحول هذا الطبيب إلى شخص متحجر القلب، معدوم المشاعر والأحاسيس، عندما قام- فجأة- بتهشيم رأس أمه وطعنها بسكين حادة عدة طعنات فى أماكن متفرقة من جسدها النحيل وفى بطنها التى حملته فيها لمدة ٩ أشهر عندما كان لا يزال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا مكسوًا لحمًا، وقام الطبيب بإخراج أحشاء أمه ثم فرغها أمامه وبعد ذلك جلس ينظر إليها ويبكى بشكل هستيرى ويردد جملة «عقول الناس جرى لها إيه»! كانت الأم تعيش مع ابنها الطبيب فى الشقة بعدما تزوج أشقاؤه وتركوا المنزل الأسرى، بعد وفاة الأب. وكما يقول الطبيب القاتل وكذلك الجيران فى تحقيقات النيابة أن السبب الذى دفع الطبيب إلى ارتكاب هذه الجريمة البشعة كان هو طلب الأم وإلحاحها على ابنها الطبيب أن يتزوج قبل أن يفوته قطار الزواج بعد أن امتدت به سنوات

العمر فى عمله، وفى إحدى المرات عندما عاد الطبيب من عمله، وتناول طعام العشاء، فتحت الأم معه موضوع زواجه، فنشبت بينهما مشادة كلامية بسبب رغبة الطبيب فى شراء سيارة وتأجيل عملية الزواج، وعندما نهرته أمه وعاتبته على ذلك مؤكدة على رغبتها فى أن تطمئن عليه قبل أن تموت بعدما بلغت من الكبر عتيًا، فكان رد فعله عليها أن قام بإحضار شاكوش وانهال على رأسها بقسوة بالغة ولم يرحم صرخاتها وتوسلاتها إليه حتى هشم رأسها تمامًا ثم قام بعد ذلك بإحضار سكين من المطبخ ذات نصل كبير وقام بذبحها وتقطيع أجزائها وأشلائها وأخرج الأحشاء من بطنها، وعندما أحس الجيران بأصوات استغاثة قاموا بكسر باب الشقة ليجدوا الأم غارقة فى دمائها والابن يجلس بجوارها ويردد كلمات غير مفهومة على الإطلاق.. وعندما سألته النيابة عن سبب إقدامه على هذه الجريمة البشعة، برر هذا السلوك المشين بأن أمه كانت دائمًا لسانها طويل!

وتم القبض عليه ورميه فى السجن وحكم عليه بالإعدام شنقًا.

أستاذ جامعى وطبيب قتلا والدتهما المسنة بسبب فيلا!

لا تتعجب عندما تقرأ أحداث هذه القصة المأساوية التى كان بطلها اثنين ممن يُطلق عليهم صفوة المجتمع أو نخبته المثقفة. أستاذ جامعى، وطبيب بشرى، قتلا والدتهما المسنة بسبب فيلا صغيرة مع أنهما يمتلكان الكثير. قد تتساءل بعد قراءة هذه الحادثة التى نشرتها مجلة الشباب فى ديسمبر عام ٢٠٠٣: هل اقترب يوم القيامة، أم أننا بالفعل نعيش فى الإرهاصات الأخيرة من عمر الدنيا الفانية؟!

ففى محافظة الإسكندرية وبالتحديد فى قسم شرطة محطة الرمل وقعت حادثة هزت المجتمع كله، بدأت وقائعها عندما طلب الشقيقان من والدتهما التى تبلغ من العمر ٨٤ عامًا ترك الفيلا التى تسكن فيها، والتى

كانت قد ورثتها عن أسرتها الثرية جدًا من قبل والتى تزوجت وأنجبت فيها ولديها وتوفى زوجها بعد ذلك وترك لها ميراثًا كبيرًا أيضًا، وترك لها ولدين.. فرفضت الأم أن تتزوج من رجل آخر، ونذرت نفسها لتربية ابنيها حتى توصلهما إلى بر الأمان ، وبالفعل أصبح كل منهما فى مركز مرموق ومكانة يُشار إليها بالبنان، وقامت الأم بتأسيس شقة فاخرة جدًا لكل منهما فى أرقى أحياء الإسكندرية وتزوج كل منهما وأصبح لكل واحد منهما حياته الخاصة، وبعد مرور سنوات عدة، اتفق الشقيقان مع بعضهما على أن يطلبا من الأم ترك الفيلا والإقامة فى دار المسنين!! أو تجهز شقة صغيرة لها واستحضار خادمة لتفى بأغراضها، على أن يقوما ببيع الفيلا ويستفيدا من ثمنها فى عمل مشروعات خاصة بهما ومساعدة أبنائهما فى المستقبل، أو القيام ببناء عمارة سكنية بالمشاركة مع أحد المقاولين على أن يأخذ نصفها، وقاما بعرض هذه الاقتراحات على الأم. فما كان من الأم إلا أنها رفضت عرضهما، فقرر الشقيقان رفع قضية حجر عليها!!

ومع أول جلسة رفضت المحكمة طلب الحجر حيث شهد الجيران أن الأم مازالت تتمتع بكامل قواها العقلية وأن رغبة ولديها فى الاستيلاء على الفيلا هى التى جعلتهما يدعيان ذلك!! ورغم ذلك لم يهدأ الأستاذ الجامعى والطبيب وقاما بعمل توكيل من الأم لهما بتاريخ سابق لتاريخ قضية الحجر بموجبه قاما بالبيع لأنفسهما من قِبَل الأم! ورفعا دعوى قضائية يطالبان فيها بنزع الملكية وإخلاء الفيلا وعلمت الأم بذلك فانهارت نفسيًا وأصيبت بشلل فى قدمها نتيجة لذلك.

وفى المحكمة تم الحكم ببطلان الدعوى لصالح الأم ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان - عندما كان الشقيقان أمام باب المحكمة بعد النطق بالحكم السابق، فى انتظار والدتهما، وعندما مرت الأم من أمامهما لم يتمالك الابن الأكبر الأستاذ الجامعى نفسه وأخرج من جيبه «سبراى

حارق للعيون» ورشه على وجه أمه لتسقط السيدة المسنة فى حالة خطيرة كما رشه على أحد الجيران الذين كانوا يرافقون الأم والذين شهدوا لصالح الأم، وعلى الفور تم نقل الأم إلى المستشفى وظلت به لثلاثة أيام فقط لكنها فقدت الرغبة بعد ذلك فى الحياة نتيجة تعذيب ولديها لها وعقوقهما لحقوقها وعندما اشتد بها الألم لفظت أنفاسها الأخيرة وماتت من الكمد والحزن والبكاء الشديد على ما لاقته من تعذيب فى أواخر أيامها على أيدى فلذات أكبادها الذين تحولت قلوبهم إلى حجارة، بل إن من الحجارة ما يتدفق منها المياه والأنهار!

مراهق يذبح أسرته بالكامل بدون سبب!!![1]

وهناك أمثلة كثيرة نشرتها الصحف المصرية وأفردت لها مساحات لا بأس بها فى عرضها مثل الجريمة البشعة التى قام بارتكابها مازن - ١٧ عامًا - الطالب بمدرسة التأهيل المهنى الذى قام بقتل والده - ٤٣ عامًا - ووالدته - ٤٠ عامًا - والتى تعمل مساعد شرطة بسجن النساء بالقناطر الخيرية، وشقيقه حمادة - ١٩ عامًا - وممدوح - ١٠ أعوام - وذلك بمنزله بالقناطر، وذلك دون سبب واضح، وبعد ما قتلهم جميعًا قال لهم: أنا أحبكم جدًا ولكن الموت أفضل لكم أريد أن أكون صاحب كل شىء وأتصرف فى كل شىء والمالك للبيت والسيارة وكل الأموال والآن فقط أستطيع أن أفعل أى شىء، ويضيف الطفل القاتل: كما أنى أكرهكم وأكره عطفكم علىّ وأكره خوفكم منى وأكره تحكمكم فى شئونى وحياتى!

(١)جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١١/٧ م.

ابن يقتل والده بعد علمه باعتزام الأب الزواج!!![1]

فى محافظة المنيا جرت جريمة بشعة للغاية عندما تجرد شاب من مشاعره وأحاسيسه وقام بتهشيم رأس والده بشومة غليظة عدة مرات دون شفقة ولم يتركه إلا وهو جثة هامدة وبعد أن تأكد الابن ويُدعى جمال - ٢٢ عاما - ويعمل عاملا زراعيًا فى أرض والده أن والده قد لفظ أنفاسه الأخيرة قام بإلقاء جثته فى مياه الترعة بعد أن وضعها بداخل جوال، وعندما تم القبض على الابن اعترف أمام النيابة أن والده كان يحاول ويعتزم الزواج من إحدى الفتيات التى تقيم بجوار أسرته بعد وفاة أمه، بالإضافة إلى قيام الأب ببيع ١٢ قيراط أراض زراعية من أرضه- أى أرض ابنه- التى ورثها من أمه من أجل أن يتزوج من هذه الفتاة صغيرة السن فقام بمغافلة الأب ثم قتله عن طريق تهشيم رأسه بشومة غليظة، ثم قام بإلقائه فى الترعة.

جحود الأبناء جعل الأم تقتل نفسها!!![2].

كما شهدت منطقة وسط البلد فى القاهرة بالتحديد فى شارع الموسكى حادثًا مأساويًا عندما شنقت أم نفسها للتخلص من حياتها بسبب جحود أبنائها وعدم زيارتهم لها والإنفاق عليها بعد طلاقها من زوجها بفترة طويلة وذلك عقب إصابتها بمرض نفسى، حيث قام الزوج بتطليقها غيابيًا وتزوج من أخرى أقل منها فى السن وأكثر منها جمالا، إلا أن الزوجة - ٥٠ عامًا - لم تتحمل ذلك فأصيبت بمرض نفسى شديد للغاية خاصة بعد جحود أبنائها وعدم اهتمامهم بها، ورعايتهم لها والسؤال عنها بالسنوات حتى شعرت بأن الدنيا قد ضاقت بها فقامت على الفور بشنق نفسها وانتحرت حتى تتخلص من الدنيا إلى الأبد.

---

(١) جريدة الأهرام، ٢٠٠١/١٢/٥ م.

(٢) جريدة الوفد، ٢٠٠٤/٢/٥ م.

ويُرجع الدكتور عادل صادق أستاذ الطب النفسى جرائم الأبناء إلى عدة عوامل منها:

١ - عامل المحاكاة الذى يلعب دورًا أساسيًا عند الأطفال من خلال قيام الطفل بمحاكاة جريمة قتل، ذلك عن طريق مشاهدة الأفلام والمسلسلات التى تتسم بالقسوة والعنف.

٢ - العنف داخل الأسرة والذى يتضح من خلال التراشق اللفظى وتجاهل مشاعر أفراد الأسرة لبعضهم البعض، أو اعتداء رب الأسرة على الأم بالضرب أو على أحد الأبناء علاوة على العنف الذى يشاهده فى الشارع أو المدرسة أو العمل.

٣ - جفاف العلاقات بين أفراد الأسرة وانعدام مشاعر الحب والمودة والرحمة بين أفرادها.

٤ - الاستعداد الإجرامى عند الأطفال، بمعنى أن يولد الطفل ولديه الاستعداد الإجرامى ويولد عدوانى الطبع قد يكون السبب أن تربيته فى الأسرة الطفل الثانى مما قد يشعر معه أنه يحصل على نصف الاهتمام من أفراد الأسرة مما يدفعه لارتكاب جريمة القتل نتيجة هذا السبب.

٥- غياب الأم لفترات طويلة عن المنزل يكاد هذا العامل يكون هو العامل المشترك بين كثير من حالات انحراف الأبناء.

وقد ترتب على غياب الأم سواء للعمل أو لقضاء حاجة الآتى:

- إدمان الأطفال، وهناك حالات كثيرة لإدمان الأطفال نتيجة تعرفهم على أصدقاء السوء فيصبح الطفل عضوًا فى عصابة الإجرام بعد ذلك.

ويرى الدكتور عادل أيضًا أن للفيلم السينمائى والتليفزيون دورًا فى تحريك النوازع العدوانية عند الأبناء والتأثير عليهم بشكل غير مباشر فى تكوين أفكاره.

- وأن هناك بعض الكلاسيكيات فى العلاقة بين الأبناء والآباء والأمهات، هذا المثلث الابن الأب الأم يسمى فى علم النفس باسم «عقدة

أوديب» وهى منطقة اللاشعور لدى الطفل أو عقله الباطن، وهى رغبة كامنة فى التخلص من الأب إلى حد الرغبة فى القتل ولذلك ينشأ عند الطفل صراع رهيب يسمى «صراع الكراهية والحب»، فالطفل هنا يحب أباه ولكنه فى نفس الوقت يكرهه «كراهية القتل» لأن هذا الأب غزا قلب الأم واستحوذ عليها. فهو فى اتفاق غير مكتوب وغير معلن فدائمًا فى المشاكل التى تنشأ بين الأب والأم نجد أن الطفل الذكر يأخذ صف (أمه) والفتاة تأخذ صف الأب وقد تحدث بعض الجرائم التى يرتكبها الابن مع الأم ضد الأب أو العكس الابنة مع الأب.

وتؤكد الدكتورة نجوى حافظ بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية على تأثر الأبناء بصور ونماذج بعيدة كل البعد عن قيمنا وأخلاقياتنا والتى طبعت الحياة بالخارج بلون وردى مغر يتناقض مع الواقع الذى يعيشه الطفل داخل مجتمعه خاصة بعد تحول العالم إلى قرية صغيرة، تقول: لا نستطيع أن نغفل الجانب أو البعد السياسى وهو انحراف سلوك الصغار.

فهيمنة الكتلة الواحدة أو المجتمع الأمريكى على المجتمع الدولى بعد انحسار الكتلة الشرقية أعطى فرصة لانبهار العالم الثالث - ومن بينه مصر - بالثقافة الأمريكية والتأثر بها والتأثير على نفوس أفراد المجتمع ومنهم الصغار.

بالإضافة إلى المتغيرات الاقتصادية العالمية التى تضع بصماتها على المجتمع المصرى وما حدث من انفتاح على المستوى الإقليمى نتيجة للانفتاح الاقتصادى مما يترتب عليه نزوح وهجرة الكثير من أفراد المجتمع إلى الدول البترولية الغنية ثم عودة هؤلاء مرة أخرى إلى الوطن بثروات كبيرة ونتج عن ذلك شرائح جديدة بالمجتمع المصرى لهما مواصفاتها وأخلاقياتها وتقاليدها.

بينما ظلت بعض الشرائح الأخرى كما هى ومن هنا نشأت فجوة

كبيرة بين هذه وتلك ونتج عن ذلك قيم مختلفة جديدة وصراعات وتناقضات ونشأ صراع مرير بين القيم الجديدة التى تدور حول المادة وبين القيم الأخرى الراسخة فى المجتمع.

ونشأ خطان متوازيان فى قيم المجتمع لا يتقابلان أبداً هما:

أولا: قيم المجتمع الأصلية المترسبة فيه.

ثانيًا: قيم واردة عليه نتيجة لسياسة الانفتاح.

وتشير إلى أن الازدواجية التعليمية فى مصر من خلال وجود مدارس أجنبية وأخرى حكومية وما يترتب على الأولى من إيجاد فرص عمل مناسبة للشباب بمرتبات مغرية على العكس من انتظار طابور طويل من خريجى المدارس الحكومية الذين لا يجدون فرصة الحصول على العمل، ويترتب على ذلك معاناة الشباب والأحداث من البطالة والفراغ والإحباط التى تؤدى إلى طريق الجريمة.

وتؤكد أيضًا على مفاهيم اجتماعية جديدة ترتبط بالطموح الشخصى للفرد المصرى الذى لم يعد الطموح مرتبطًا فى ذهنه بمستوى إجادة العمل وتطويره، بل ارتبط بمفهوم الفهلوة والشطارة مما أحدث خللا فى المفاهيم التى توارثها أفراد المجتمع جيلا بعد جيل.

اختلاف القيم فى المجتمع المصرى وتغير مفهوم الطموح!!

الدكتورة جيلان عبد الحميد - رئيس قسم الطفولة والأمومة بجامعة عين شمس تشير إلى اختلاف القيم فى المجتمع المصرى بشكل لم تعد فيه الأسرة المتماسكة المترابطة موجودة حيث الأم تسعى لتحقيق طموحاتها خارج المنزل والأب يسعى أيضًا جاهدًا لزيادة دخله وجمع المال للإنفاق وتلبية احتياجات أسرته، والطفل حائر ولم يجد احتياجاته الأساسية من الحب والأمان والاستقرار والرعاية.

وتقول الدكتورة جيلان عبد الحميد: إن ظهور بعض الطفيليين والثراء الفاحش فجأة على سطح المجتمع أدى إلى انقلاب كل الموازين والقيم التى كان متعارفًا عليها فيما مضى وأن الطموح لم يعد مرتبطًا بتحقيق الدرجات العلمية والمستوى الثقافى والأدبى، بل أصبح مرتبطًا بأشياء أخرى مثل السيارة الفارهة والفيلا والثراء وإمكانية اقتناء كل وسائل الرفاهية الحديثة.

وتشير الاستفتاءات التى أجراها المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية إلى أمثلة للضحايا من النشء داخل الأسرة لأسباب متعددة:

١- تفضيل ابن على آخر مما يدفعه إلى الشعور بالغيرة والحقد على شقيقه وربما يؤدى به هذا السلوك إلى قتله.

٢- تعدد الزوجات ووجود أكثر من زوجة فى البيت الواحد، وافتقاد الأطفال إلى الرعاية والاستقرار ثم الضياع والانحراف.

٣- تعاطى المخدرات والمسكرات كنتيجة طبيعية لانشغال الوالدين عن أطفالهما ودخول أصدقاء السوء فى حياتهم الأمر الذى يؤدى إلى الانحراف وأحيانًا إدمان المخدرات.

٤- مشكلات التزاحم السكانى وما ينتج عنه من مشكلات.

٥- مشكلات سفر الأب إلى الخارج وابتعاده عن أسرته وأطفاله وما ينشأ عن ذلك من مشكلات اجتماعية.

وفى دراسة الدكتورة سميحة نصر - الأستاذ بقسم بحوث الجريمة بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية وجرائم العنف كشفت الباحثة عن أن صور التفكك الاجتماعى التى سادت المجتمع بداية من عصر الانفتاح فى السبعينيات كان لها تأثير كبير على زيادة معدلات الجريمة وجرائم العنف الجماعى، إذ ازدادت جرائم هتك العرض والحريق العمدى وجرائم الخطف والاغتصاب وزيادة عدد المتهمين فى القضية الواحدة مما يدل على شيوع الجريمة ذات الطابع الجماعى.